كيف تغض بصرك



جمع وترتيب

محمود المصري
أبو عمار

مؤسسة قرطبة

كيف تغض بصرك

جمع وترتيب

محمود المصري

(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة

٥٨٨٣١١٧ - ٧٧٩٥٠٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

رقم الإيداع	٢٠٠٥/١٦١١٤

التجهيز الفني: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

الشركة الفنية للطباعة ت: ٧٧٧١٠٣٩

الناشر مؤسسة قرطبة

٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٥٨٨٣١١٧

مؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع
٦٤ شارع الخليفة مدينة
الأندلس - الهرم
ت: ٧٧٩٥٠٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). أما بعد:

فإن المتأمل لحال كثير من شباب وفتيات المسلمين مع نعمة غض البصر ليبكي الدماء بدل الدموع، فكثير من الشباب لا

يغض بصره عن النساء، وكثير من النساء لا يغضضن أبصارهن عن الرجال.

ولعل السبب فى ذلك هو ضعف الوازع الدينى وعدم استحضار مراقبة الله للعبد.. فالله (جل وعلا) هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.

ولا يخفى علينا أيضًا أن الانفتاح الذى يعيشه كثير من الناس فى هذا الزمان على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وما تبثه من الفواحش والرذائل التى تُذهب الحياء، وتؤجج نار الشهوة، وتُبعد العبد عن طاعة ربه (جل وعلا).. كان سببًا رئيسيًا فى انتشار ظاهرة عدم غض البصر.

ومما يجدر ذكره أن من أرخى لشهوته العَنان، فإن سُعار هذه الشهوة لا حدَّ له ولا انقضاء، وإذا كان الشخص المولَع بالدنيا لا يشبع من المال - فلو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب - فكذا الشخص المولع بشهوة النظر إلى النساء لا يقف عند حدٍّ معين ولا يرعوى.

يقول الشيخ على الطنطاوى: «لو أوتيت مال قارون، وجسد هرقل، وواصلتك عشرة آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتفى؟ لا... أقولها بالصوت العالى: لا. أكتبها بالقلم العريض،

ولكن واحدة بالحلال تكفيك.

لا تطلبوا منى الدليل، فحيثما تلفَّتم حولكم وجدتم فى الحياة الدليل قائمًا ظاهرًا مرئيًا»(١).

* إن أشدَّ الفتن وأعظمها: الفتنة بالنساء، كما قال النبى ﷺ - كما عند مسلم -: «ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء».

قال الإمام طاوس عند قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨): «إذا نظر إلى النساء لم يصبر»(٢).

* ومن أجل ذلك أوجه تلك الرسالة الصغيرة لإخوانى وأخواتى لنتواصى من خلالها على غض البصر.. وإن كان الأمر عسيرًا، لكنه يسير على من يسَّره الله عليه... فلنستعن بالله وسنجد العون - بإذن الله.

* فاللهم ارزق شباب وبنات المسلمين نعمة غض البصر ليسعدوا فى الجنة بلذة النظر إلى وجهك الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)

(١) فتاوى على الطنطاوى (ص: ١٤٦).

(٢) ذم الهوى لابن الجوزى (ص: ١٧٩)، وروضة المحبين (ص: ٢٠٣).

غض البصر اصطلاحًا

أن يُغمض المسلم بصره عما حُرِّمَ عليه، ولا ينظر إلا لما أُبيح له النظر إليه، ويدخل فيه أيضًا إغماض الأبصار عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصدٍ فليصرف بصره سريعًا(١).

* ومن المعلوم أن إطلاق البصر من أعظم الأسباب للوقوع فى فاحشة الزنا التى هى من أكبر الكبائر التى تقضى على الأخضر واليابس فى المجتمع المسلم، فبسبب تلك الفاحشة تنتشر العداوات، وتقوم الحروب وتختلط الأنساب.

النظر أصل عامة الحوادث

قال الإمام المحقق ابن القيم فى «الداء والدواء»: والنظر أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرةُ فكرةً، ثم تولد الفكرة شهوةً، ثم تولد الشهوة إرادةً، ثم تقوى فتصير عزيمةً جازمةً، فيقعُ الفعل ولابد ما لم يمنع منه مانع. وفى هذا قيل: الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على ألمٍ بعده(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٨) بتصرف.

(٢) الداء والدواء (ص: ١٨٦).

أكثر المعاصي من فضول الكلام وإرسال النظر

وأكثر المعاصى إنما تتولد من فضول الكلام، وإرسال النظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتهما لا تُملآن بخلاف البطن فإنه متى امتلأ لم يبق له فى الطعام إرادة. وأما العين واللسان فلو تُركا لم يفترا من النظر والكلام أبدًا، كما قيل: أربع لا تشبع من أربع: عين من نظر، وأذن من خبر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر.

* فكم من نظرة إلى صورة جميلة فى السوق أو فى الشاشة، أو فى مجلة أعقبت فواحش وآلامًا وحسرات.

النظر سهم سُم إلى القلب

* فالنظر سهم سُمٍّ إلى القلب، وسهم مسموم من سهام إبليس، ومن أطلق لحظاته دامت والله حسراته، ولقد صدق القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرةٍ فتكت بقلبِ صاحبها
فتكَ السهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ
والمرء ما دام ذا عين يُقَلِّبُها
فى أعين الغَيْدِ موقوف على الخطر
يسر مُقلته ما ضرَّ مهجته
لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

* ولذلك فإن الشيطان يزين للرجل المرأة الأجنبية، ولو كانت قبيحة ويُقبِّح فى عينيه زوجته، ولو كانت من أجمل النساء. . . فإذا رأيت امرأة فما عليك إلا أن تغض بصرك، وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

البصر هو الباب الأكبر إلى القلب

قال القرطبى: البصر: هو البابِ الأكبر إلى القلب، وأعمرُ طُرقِ الحواسِّ إليه، وبحسب ذلكَ كثُرَ السقوط من جهته، ووجبَ التحذير منه، وغضُّه واجبٌ عن جميع المحرمات. وكل ما يُخشى الفتنة من أجله(١).

وكنتَ متى أرسلت طرفك رائدًا
لقلبك يومًا أتعبتك المناظرُ

(١) تفسير القرطبى (٢/ ١٤٨).

رأيتَ الذى لا كلُّه أنت قادر عليه
ولا عن بعضه أنت صابرُ

إطلاق البصر منقصة للرجل الشريف

* إن إطلاق البصر يُعدُّ مَنقصة للرجل الحر الشريف... حتى إن أهل الجاهلية، على الرغم من الجاهلية التى كانوا يعيشون فيها كانوا يرون أن من العار أن يُطلق الرجل العفيف بصره للنظر إلى النساء.

كما قال القحطانى (رحمه الله):

إن الرجال الناظرين إلى النسا
مثل الكلاب تطوف باللحمان(١)

* ومع ذلك نرى كثيراً من شباب ورجال المسلمين لا يستطيع الواحد منهم أن يغض بصره عن النساء... بل لقد وصل الأمر إلى وقوف كثير من شباب المسلمين على النواصى لمشاهدة النساء... فعجزوا حتى عن الوصول إلى ما وصل إليه بعض الناس فى عصر الجاهلية من الترفع عن الوقوع فى رذيلة إطلاق البصر حتى قال قائلهم:

(١) متن نونية القحطاني (ص: ٧٣).

وأغضُّ طرفى ما بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ
لا أُتبع النفسَ اللَّجوجَ هواها(١)

الأدلة على وجوب غض البصر

أما عن الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا) وسُنَّة رسول الله ﷺ على وجوب غض البصر فكثيرة... ووالله لو لم يرد أى دليل من القرآن أو السنة على وجوب غض البصر لكانت عفة المسلم تمنعه من الوقوع فى تلك الرذيلة التى تُسقط المروءة.

الأدلة من القرآن الكريم

ولنبدأ أولاً بسرد بعض الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا)، والتى تدل على وجوب غض البصر.

الدليل الأول:

قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ

(١) هو عنترة العبسى.

فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠).

ونحن نلاحظ هنا أن الله يخاطب بتلك الآية المؤمنين؛ لأنه لا يستجيب لأمر الله إلا أهل الإيمان والتقوى الذين امتلأت قلوبهم حبًا لله ولرسوله ﷺ.

* قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ (النور: ٣٠): «هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرِّمَ عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصرهُ عنه سريعًا» (١).

* وقال السعدي (رحمه الله): أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم - الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان -: ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور.

﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عن الوطء الحرام، في قُبُلٍ أو دُبُرٍ، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها. ﴿ذلك﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أزكى لهم﴾ أطهر، وأطيب، وأنمى

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذى يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذى تطمع إليه النفس وتدعو إليه. فمن ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه، ومن غض بصره، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع دواعى الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظًا. فالشىء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه فى مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ. كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد فى حفظهما، أوقعاه فى بلايا ومحن[1].

* وقد قال بعض أهل العلم: إن إعراب كلمة «يغضوا» التى وردت فى الآية أنها واقعة فى جواب الأمر... وحُذف الأمر واقتصر على إيراد الجواب جزمًا بأن هذا هو شأن المؤمنين أنهم إذا قيل لهم غضوا يغضوا.

وكأن التقدير هنا: قل للمؤمنين غضوا يغضوا... فهذا هو شأن المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

* * *

(١) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).

الأمر بغض البصر للرجال وللنساء

وحتى لا يتوهم أحدٌ أن غض البصر خاصٌّ بالرجال فقط، فإن الله (عز وجل) قال في الآية التي تليها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣١) (١).

«فهذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات»(٢).

* فكما أن الرجل عنده ميلٌ فطرى إلى المرأة؛ فكذلك المرأة لديها ميلٌ فطرى إلى الرجل.. فكما أن الرجل يشتهى المرأة؛ فكذلك المرأة تشتهى الرجل، ومن أجل ذلك جعل الله غض البصر سياجًا واقيًا لمنع انتشار الفواحش في المجتمع المسلم.

ما السر فى تقديم غض البصر على حفظ الفرج؟

وسرُّ تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور.. ولأن البلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه فبودر إلى منعه، ولأنه يتقدم

(١) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

الفجور فى الواقع، وغض البصر من أجلّ الأدوية لعلاج أمراض القلوب.

وقفة لطيفة

وأريد هنا أن أقف وقفتين فى غاية الحسن والجمال:

الوقفة الأولى: أن الله (عز وجل) ربط بين غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن الفاحشة لها مقدمات وخطوات.. وأولى تلك الخطوات هى عدم غض البصر.. فإن الرجل إذا أطلق بصره للنظر إلى النساء فإن تلك الصور تُنقش فى قلبه.. وتظل تلك الصور تتراكم إلى أن تأتى اللحظة التى لا يتمالك فيها نفسه فيقع فى الفاحشة - عياذًا بالله - ولذلك حذرنا الحق (جل وعلا) فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (النور: ٢١)، فإن من يستشرف للفتنة يقع فيها.

الوقفة الثانية: لماذا قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾، فأتى بلفظ (من) التبعيضية.. ولما تكلم عن حفظ الفرج قال: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾، ولم يأت بلفظ (من)؟.

الجواب: لأن المسلم مأمور بحفظ الفرج فى جميع الأحوال.

أما غض البصر؛ فهناك حالات استثنائية يجوز فيها النظر

للنساء مثل نظر الخاطب للفتاة التى يريد أن يتزوجها.. ومثل نظر القاضى للمرأة الشاهدة ليتثبت من شخصيتها.. ومثل نظر الطبيب المسلم للمريضة إذا لم تكن هناك طبيبة أنثى؛ فيجوز له النظر لموضع المرض فقط ويستر ما عداه، ولكن بشرط عدم الخلوة، وبشرط وجود مَحرم صالحٍ عاقل.

الدليل الثانى: قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩).

(يخبر (عز وجل) عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه (عز وجل) يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر).

فكل خائنة أعين يعلم الله بها، وخائنة الأعين كما عرَّفها ابن عباس رضي الله عنهما هى: (أن يدخل الرجل على أهل البيت بيتهم فتمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غضَّ بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غضَّ)[1].

* أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

هل استحضرت هذا المعنى الجليل قبل ذلك... هل شعرت

وأنت تنظر إلى أى امرأة أن الله مُطلع عليك ويعلم ما تُخفيه عن الناس.

سُئل الجنيد (رحمه الله) فقيل له: (بم يُستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى من تنظر إليه).

* فيا من تُطلق بصرك إلى المحرمات.. هل تخيلت أنك قبل أن يصل بصرك إلى تلك المرأة التى تنظر إليها؛ فإن نظر الله يسبقك.

والله لو استحضرت هذا المعنى لسقط لحم وجهك حياءً من الله.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوت، ولكن قُل علىَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً
ولا أن ما تُخفيه عنه يغيبُ

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

(أى سيُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يُسئلُ عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر كل واحد منهم عما اكتسب

مما رأى وسمع)(١).

* ويا له من موقف عصيب عندما يقف العبد بين يدى الله (جل وعلا) فيُعرفه نعمه كلها فيعترف بها العبد، فيقول له الحق (جل وعلا): ماذا فعلت بتلك النعم.. هل فعلت ما يُرضينى أم أنك بارزتنى بالذنوب والمعاصى؟

- بالله عليك.. كيف سيكون جوابك فى تلك اللحظة.. فلو اعترفت بذنوبك وآثامك فيا لها من لحظة عصيبة يعجز القلم عن وصفها.. ولو أنكرت فاعلم أن الله سيُنطق جوارحك لتعترف بكل ذنب اقترفته.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ (فصلت: ١٩: ٢٤).

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦٤).

* فمن الآن أيها الأخ الحبيب احرص على أن تعمل عملاً يبيض وجهك أمام الله، ولا تعمل عملاً يخزيك أمامه في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

الأدلة من السنة المطهرة

وها هي الأدلة من السنة المطهرة على وجوب غض البصر.

الدليل الأول:

ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها. فقال: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟. قال: «غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ».

فجعل النبي ﷺ أول حق من حقوق الطريق أن يغض الإنسان بصره عن النساء... فيا ليت شبابنا الذين يضيعون أوقاتهم في الوقوف على النواصي للنظر إلى النساء.. يا ليتهم يتدبرون هذا الحديث ويمتثلون أمر الحبيب محمدٍ ﷺ.

الدليل الثاني:

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله

ﷺ : «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة؛ العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه».

فسمى النبى ﷺ نظر العين إلى الحرام زنى... بل جعله النبى ﷺ على قائمة زنى الجوارح؛ لأن العين مرآة للقلب، ولذلك نجد أن القلب لا يشتهى إلا ما تراه العين.

الدليل الثالث:

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا ينظرُ الرجلُ إلى عورةِ الرجل، ولا المرأةُ إلى عورةِ المرأة، ولا يُفضى الرجلُ إلى الرجلِ فى ثوبٍ واحدٍ، ولا تُفضى المرأةُ إلى المرأةِ فى الثوبِ الواحدِ».

* فإذا كان النبى ﷺ قد نهاك عن النظر إلى عورة رجلٍ مثلك.. فمن باب أولى أن يُحرم عليك النظر إلى النساء الأجنبيات.

الدليل الرابع:

روى مسلم، عن جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فقال: «اصرف بصرك».

* فيا تُرى ما هى نظرة الفجأة؟..

هى أن تنظر أمامك لتُبصر الطريق فتقع عينك من غير قصد ولا تعمد على امرأة؛ فعليك أن تغض بصرك فى التو واللحظة.

الدليل الخامس:

وفى الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا معشرَ الشباب من استطاعَ منكمُ الباءةَ فليتزوجْ؛ فإنه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاءٌ».

* فنجد هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد حض الشباب على الزواج ليكون عونًا لهم على غض البصر وتحصين الفرج.. وهما من أعظم الأسباب التى تفرغ القلب للطاعة وطلب العلم والدعوة إلى الله.

الدليل السادس:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا علىُّ، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة»(١).

والنظرة الأولى هى التى ورد ذكرها فى حديث جرير الذى جاء فى الدليل الرابع.

الدليل السابع:

عن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه أبو داود والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

«اضمنُوا لى ستًا من أنفسكم أضمن لكمُ الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»(١).

* فجعل النبى ﷺ غض البصر من أسباب دخول الجنة.

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: ألا تريدون الجنة؟

غضوا أبصاركم لتظفروا بالجنة.

سلفنا الصالح.. ونعمة غض البصر

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حفظُ البصرِ أشدّ من حفظِ اللسان»(٢).

* وقال وَكيعُ بن الجراح (رحمه الله تعالى): خرجنا مع سفيان الثورى فى يوم عيدٍ فقال: «إن أول ما نبدأ به فى يومنا غضُّ أبصارنا»(٣).

* وقال شُجاعُ بنِ شاه (رحمه الله تعالى): «من عمَّرَ ظاهرهُ باتباعِ السُّنَّة، وباطنهُ بدوامِ المُراقبةِ، وغضَّ بصرهُ عن المحارم، وكفَّ نفسهُ عن الشهوات لم تُخطئَ له فراسة»(٤).

---

(١) رواه أحمد والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٢) الورع؛ لابن أبي الدنيا (ص: ٦٢).

(٣) الورع؛ لابن أبي الدنيا (ص: ٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥).

* ذكر أبو الفرج ابن الجوزى أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها فى المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لى فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك. فأتته كالمستفتية، فخلا معها فى ناحية فى المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أَمَةَ الله استترى، فقالت: إنى قد فُتنت بك. قال: إنى سائلك عن شىء، فإن أنت صدقتينى نظرت فى أمرك. قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك. قال: أخبرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم، لا. قال: صدقت. قال: فلو دخلت قبرك، وأُجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا. قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أُعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا. قال: صدقت.

قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا. قال: صدقت.

قال: فلو جىء بالميزان، وجىء بك، فلا تدرين أيخف

ميزانك أم يثقل أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا. قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد بن عمير أفسد علىَّ امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة.

* قال بعض السلف: «من حفظَ بصرهُ أورثهُ اللهُ نُورًا فى بصيرته»(١).

* قال الحافظُ ابن حجرٍ نَظْمًا فى آدابِ الطريق:

جُمعتُ آدابَ مَنْ رامَ الجُلوسَ علَى الـ
ـطَريقِ من قولِ خيرِ الخلقِ إنسانًا
افشِ السلامَ وأحسنْ فى الكلامِ وشَـ
ـمتْ عاطسًا وسلامًا رُدَّ إحسانًا
فى الحملِ عاونْ ومظلومًا أعنْ وأغثْ
لهفانَ اهد سبيلاً واهدِ حيرانًا
بالعُرْفِ مُرْ، وانهَ عنْ نُكْرٍ وكُفَّ أذى
وغُضَّ طرفًا وأكثِرْ ذِكْرَ مولانَا(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

(٢) فتح البارى (١١/ ١٣).

* قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى): قد أمرَ الله في كتابه بغضِ البصر، وهو نوعان: غضُّ البصرِ عن العورةِ، وغضُّه عن محلِّ الشهوةِ.

فالأول منهما: كغضِّ الرجلِ بصره عن عورةِ غيره، كما قال النبى: «لا ينظرُ الرجلُ إلى عورةِ الرجلِ ولا المرأةُ إلى عورةِ المرأة»، ويجب على الإنسان أن يسترَ عورتَه.

وأما النوع الثانى: فهو غضُّ البصرِ عن الزينةِ الباطنةِ من المرأةِ الأجنبيةِ، وهذا أشد من الأول[1].

مغبة إطلاق البصر إلى الحرام

قد أجرى الله الحكيم سنته بعدله أن الخواتيم مواريث السوابق، فمن فسدت بدايته فسدت حتمًا نهايته، فمن أطلق بصره وخالف أمر ربه وقع فى هذه النتائج المرة المحزنة التى اكتظ بها المجتمع من زنى واغتصاب، . . . وما قصة رجل الأعمال منا ببعيدة، يوم شُغِلَ عن بيته بصفقاته وتجاراته وترك الأمر لبناته يفعلن ما يردن دون رقيب ولا حسيب يدخلن بمن يردن وبما يردن، فجئن يومًا بشريط فيديو جنسىٍّ عارٍ تمامًا وتفرجن عليه فى غرفتهن سرًا من أمهن، ثم نِمْن ونسين الشريط فى الجهاز

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤١٤).

وذهبن إلى المدرسة فى الصباح، وجاء أخو الزوج المشغول لزيارة زوجة أخيه، فوجدها فى البيت وحدها، فطلب منها إعداد فنجان من الشاى، ثم دخل غرفة بنات أخيه فوجد - الريموت - وبحب استطلاع منه شَغَّلَ الجهاز فدار الشريط الجنسى، وتحركت المناظر الجنسية المثيرة، والتى جذبت انتباهه، ثم جاءت زوجة أخيه بالشاى فشدها ما رأت، وانتهى الأمر بجريمة الزنى بين الرجل وزوجة أخيه، والتى تكررت مرات ومرات، وتطاير شررها عندما حملت المرأة سفاحًا، وجرت على لجنة الفتوى بالأزهر... أريد حلاً.

النظر المحرم قد ينتهي بصاحبه إلى الشرك

يقول ابن الجوزى محذرًا من إطلاق البصر: «اعلم وفقك الله أن البصر صاحبُ خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى فى القلب، أمرك الشارع بغض البصر عما يُخاف عواقبه. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾، ثم أشار إلى مُسبِّب هذا السبب، ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ

فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠، ٣١)(١).

وقد تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن النظر المحرّم وما يؤول إليه من الوقوع فى الفواحش، بل وقد ينتهى بصاحبه إلى الشرك بالله تعالى.. فكان مما قاله: «وأما النظر والمباشرة، فاللَّمَم منها مغفور باجتناب الكبائر؛ فإن أصر على النظر أو على المباشرة، صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش، فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة قد يكون أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه، ولهذا قال الفقهاء فى الشاهد العدل: ألا يأتى كبيرة ولا يصر على صغيرة.

بل قد ينتهى النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره فى القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين»(٢).

وقال ابن القيم (رحمه الله): «وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب؛ فإذا غضَّ العبد بصره، غضّ القلب شهوته وإرادته؛ وإذا أطلق بصره، أطلق القلب شهوته...

(١) ذم الهوى (ص: ١٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩٢، ٢٩٣).

إلى أن قال: والنظرة إذا أثّرت فى القلب؛ فإن عَجِل الحازمُ وحسم المادة من أولها، سَهُل علاجه؛ وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات، كانت كالماء يسقى الشجرة؛ فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويُعرِض عن الفكر فيما أُمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن»(١).

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا ذا أسوق لحضراتكم قصتين لنعلم جميعًا أن مغبة إطلاق البصر إلى المحرمات وخيمة جدًا.

فأما الحكاية الأولى؛ فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزى بقوله: «وبلغنى عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصرانى كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتينى على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا إلا أن تترك دينك، فقال: أنا برىء

(١) روضة المحبين (ص: ٩٢ - ٩٥) باختصار.

من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غَرَضك ثم تعود إلى دينك، فكُلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفَّته في ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة»[١].

وأما الحكاية الأخرى؛ فقد ذكر الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلي: «وفيها توفي عبده بن عبد الرحيم قبحه الله، ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات، والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصَّر وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمًا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أُنسيت القرآن كله

---

(١) ذم الهوى (ص: ٤٠٩).

إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (الحجر: ٢، ٣)، وقد صار لي فيهم مال وولد»[١].

خلاصة كلام مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن

* وها أنا ذا أسوق لك بعض الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب غض البصر.. ها أنا ذا أسوق لك كلام أهل العلم المتخصصين في مهنة الطب عن مغبة إطلاق البصر إلى النساء.

يقول الدكتور صادق محمد: (لقد ثبت بالدراسة والبحث العلمي أن تكرار النظر بشرهٍ للجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض:

١ - احتقان غدة البروستاتا.

٢ - الضعف الجنسي.

وبالتحليل النفسي لهذا الإنسان وجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئاب وتغيير في سلوكه وشخصيته، ويشير الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية، ولقد حذرنا الإسلام ونهانا عن إطلاق البصر، والتي ثبت في عصر العلم الحديث بالبحث والدراسة ضرر مخالفتها).

---

(١) البداية (١١/ ٦٤).

فوائد غض البصر

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): وفى غض البصر عدة منافع:

١ - غض البصر امتثال لأمر الله الذى هو غاية سعادة العبد فى معاشه ومعاده، وليس للعبد فى دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سعد من سعد فى الدنيا والآخرة، إلا بامتثال أوامر ربه، وما شقى من شقى فى الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢ - أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

٣ - غض البصر يورث القلب أنسًا بالله واجتماعًا عليه، وإطلاقه يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

٤ - أنه يقوى القلب ويفرحه، كما أن إطلاقه يضعف القلب ويحزنه.

٥ - أنه يلبس القلب نوراً، كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، ثم قال إثر ذلك: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (النور: ٣٥).

أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذى امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذى فى القلب، فإذا نفد ذلك النور بقى صاحبه كالأعمى الذى يجوس فى حنادس الظلام.

٦ - أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب. وكان شجاع الكرمانى يقول: من عمّر ظاهره باتباع السنة، واغتذى بالحلال، لم تخطئ له فراسة، وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة.

والله سبحانه يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه؛ فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصره لله. ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التى إنما تنال ببصيرة القلب.

٧ - أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فيجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة وسلطان القدرة والقوة، كما فى الأثر: «الذى يخالف هواه، يَفْرَقُ(١) الشيطان من ظله».

---

(١) يَفرق: يخاف.

وضد هـذا تجد فى المتبع هواه - من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها - ما جعله الله سبحانه فيمن عصاه.

كما قال الحسن: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية فى رقابهم، أبَى الله إلا أن يُذل من عصاه».

وقد جعل الله سبحانه العزَّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته.

٨ - أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب، أسرع من نفوذ الهواء فى المكان الخالى، فيمثل له صورة المنظور إليه، ويزينها ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلب، ثم يعدهُ ويُمنِّيه، ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقى عليه حطب المعاصى التى لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب فى اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التى يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات، فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب فهو وسطها كالشاة فى وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصور المحرمة، أن جُعِلَ لهم فى البرزخ تنورٌ من نار وأودعت فيه أرواحهم إلى حشر أجسادهم، كما رآها النبى ﷺ فى المنام(١).

٩ - أنه يفرغ القلب للتفكر فى مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره،

---

(١) كما فى حديث سمرة عند البخارى (٧٠٤٧).

ويقع فى اتباع هواه وفى الغفلة عن ذكر ربه.

١٠ - أن بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك فى جانب الصلاح(١).

١١ - يجعل العبد يذوق حلاوة الإيمان؛ لأن من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه.

١٢ - غض البصر يعين الإنسان على طلب العلم؛ لأن العلم لا يُنال إلا بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

١٣ - غض البصر ينجى العبد من الوقوع فى حفرة من حفر النار.

١٤ - فيه راحةٌ للنفس والبدن.

١٥ - يصونُ المحارمَ ويُجنبُ الوقوع فى الزلل.

١٦ - يجعل المجتمع المتحلى بهذه الصفة مجتمعًا آمنًا متحابًا.

١٧ - يصونُ المجتمعَ من انتشارِ الزنى.

١٨ - يضرُّ بالشيطانِ وأعوانِه ويستجلبُ العفة(٢).

١٩ - غض البصر يحفظ عليك تلك النعمة، كما قال النبى ﷺ: «احفظ الله يحفظك».

---

(١) الداء والدواء (ص: ٢١٣ : ٢١٦) بتصرف.

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٣٠٧٦).

٢٠ - غض البصر مهرٌ للحور العين.

٢١ - أرجو من الله أن يُنعم على كل من غض بصره فى الدنيا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

فمن باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

أريدك أيها الأخ الحبيب أن تقايس بين نعم الله عليك وبين جنايتك ومعصيتك.. مع أن مقتضى القياس أن نقايس بين نعم الله علينا وبين طاعتنا لله.

لكنى أريدك أن تقايس بين نعم الله عليك التى لا تُعد ولا تُحصى، وبين ذنوبك وآثامك، فخيره إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد، ومع ذلك يعطينا ويرزقنا ويعافينا ويغفر لنا، وهو الذى لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا.

* ففى الحديث القدسى الذى رواه مسلم أن الله (جل وعلا) قال: «.. يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضُرِّى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم، ما زادَ ذلك فى مُلكى شيئًا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما

نقص ذلك من مُلكى شيئًا. . . ».

* وإن من أعجب الأشياء أن العبد لا يعصى الله إلا بنعم الله. فلو لم يرزقك الله بنعمة البصر هل كان من الممكن أن تنظر إلى النساء؟

بالطبع لا. . . ومع ذلك استعملت نعمة البصر فعصيت بها ربك ونظرت بها إلى الحرام.

* ماذا تصنع لو حرمك الله من نعمة البصر؟ هل ترضى أن تكون عالة على الناس يأخذونك يمينًا ويسارًا. . . ؟!!

إذن؛ فلماذا لا تحفظ النعمة وتحافظ عليها بطاعة الله، فهو القائل: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

* أما تستحيى عندما تنظر إلى رجلٍ أعمى قد امتلأ قلبه شكرًا لله، مع أن الله حرمه نعمة البصر. . . وأنت تعصى الله بنعمة البصر؟

* أما علمت أن الله الذى رآك وأنت تنظر إلى امرأة فى الحرام. . هو هو الذى سيحاسبك يوم القيامة على تلك النظرة، ولن تستطيع أن تنكر، أو أن تكذب عليه، وهو الذى رآك.

* إذن؛ فلماذا لا تحافظ على تلك النعمة بأن تشكر الله عليها، وبأن تستعملها فى طاعة الله (جل وعلا).

أقسام النظر إلى النساء وأحكامها

ونظر الرجل إلى النساء ينقسم إلى ثمانية أقسام:

الأول: نظر الرجل البالغ حتى ولو كان مجبوبًا[١] إلى الحرة البالغة الأجنبية بغير داعٍ لذلك.

حكمه: هذا القسم حرام، ولا يجوز له أن ينظر إلى شيء منها، ولا حتى ظفرها، ولا أطراف شعرها، وهذا القسم هو المقصود بالأدلة السابقة، فكل أدلة التحريم لإطلاق البصر ووجوب غضه منصبة على هذا النوع.

الثاني: أن ينظر لامرأة لا تُشتهى لكونها عجوزًا فانية، أو دميمة الخلقة جدًا سبحان من سواها.

حكمه: يجوز النظر لوجهها فقط ولا يتعداه؛ لدخولها تحت قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٠).

الثالث: أن ينظر إليها لغرض الشهادة عليها أو لمعاملتها.

حكمه: يجوز أن ينظر في هاتين الحالتين فقط للوجه والكفين؛ لأن هذه حاجة، وهو محتاج إلى معرفتها بعينها

(١) المجبوبُ: مقطوعُ الذَّكَر.

للمطالبة بحقوقه وحقوق العقد أو لتحمل الشهادة وأدائها، ولكن هذا الجواز مشروط بثلاثة شروط:

١ - **فقدُ جنسٍ**: أى لابدَّ أن تكون التى تنظر إليها امرأة مثلها لتتعرف عليها؛ فإن فُقِدَت المرأة التى تنظر، وتعذر الوصول إلى امرأة؛ جاز أن ينظر إليهَا رجَل، وللوجه والكفين فقط.

٢ - **فَقْدُ محرم صالح**؛ فإن وُجد المحرم، فيحرم أن ينظر إليها أجنبى إلا فى وجود المحرم، أما إذا فقد المحرم أو تعذر؛ فيجوز النظر للوجه والكفين، لكن بدون خلوة.

٣ - **أن يتعذر النظر إليها من وراء حجاب**؛ لأن الأصل أن ينظر إليها عند الحاجة من وراء حجاب... للآية؛ فإن تعذر الحجاب جاز النظر بقدر الحاجة.

الرابع: أن ينظر إلى امرأة بالغة بقصد أن يخطبها لنفسه فيجوز النظر منها إلى الوجه والكفين ولا يتعداها.

الخامس: النظر إلى ذوات المحارم وهن كل امرأة يحرم عليك نكاحها أبدًا بنسبٍ كالأم والأخت، أو بسبب كالرضاع والمصاهرة والنظر إلى بنت صغيرة أو أَمَة.

حكمه: يجوز النظر لما يظهر منهن غالبًا كالشعر والوجه والرقبة ونصف الذراع ونصف الساق.

السادس: أن ينظر إليها لغرض المداواة إن كان طبيبًا، ولم

توجد طبيبة أنثى.

حكمه: يجوز لموضع الحاجة فقط ويستر ما عداها، ولكن بشرط:

١ - عدم الخلوة.

٢ - وجود محرم صالح عاقل.

السابع: أن ينظر الرجل إلى أَمة محرمة، أو إلى حرة مميزة دون تِسع أو تنظر المرأة إلى المرأة أو إلى رجل أجنبى أو ينظر ولدٌ صغير لا شهوة له للمرأة، أو ينظر الرجل إلى رجل مثله، فيجوز إلى ما عدا ما بين السرة إلى الركبة.

الثامن: أن ينظر الرجل إلى زوجته المدخول بها أو أمته، فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنها بلا حرج(١).

الوسائل المعينة على غض البصر

١ - الاستعانة بالله (جل وعلا):

فإن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله... فينبغى على العبد أن ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فيلجأ إلى الله أن يعينه على غض البصر.. وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه.

قال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله؛ وإذا استعنت فاستعن

---

(١) احذر إنها سهم سُمٍ إلى القلب/ إبراهيم فتحى (ص: ٣٩ : ٤٢).

بالله . . »(١) .

وانظر إلى نبى الله يوسف (عليه السلام) عندما قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٣، ٣٤).

٢ - استحضار مراقبة الله للعبد:

فإن العبد إذا علم أن الله مُطلع عليه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور . . وأنه يعلم السر وأخفى . . وأنه يراقب العبد فى سكناته وحركاته؛ فإن ذلك يجعل العبد يستحى أن يعصى الله بنعم الله (جل وعلا).

٣ - الزواج أو الصيام؛ لقول النبى ﷺ - كما فى الصحيحين -: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج؛ فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه لو وجاء».

٤ - معرفة فضائل غض البصر.

٥ - التعرف على الشرور التى يجنيها العبد من مغبة إطلاق البصر فى النظر إلى النساء؛ فإن ذلك يردعه عن النظر إلى النساء.

٦ - استحضار مشاهد يوم القيامة بدءًا من دخول ملك

---

(١) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

الموت.. وانتهاءً بدخول الجنة أو النار.

٧ - مصاحبة الأخيار، وترك صحبة الأشرار:

فالرجل على دين خليله.. فالصاحب المؤمن يعينك على غض البصر، أما صديق السوء، فإنه يُهوِّن عليك الذنوب، ويأخذ بيديك إلى كل أسباب الهلاك.

٨ - ملازمة المصحف فى كل مكان:

فلا تخرج من بيتك إلا والمصحف فى جيبك.. فأينما كنت فأخرج المصحف واقرأ فيه، فإن ذلك يعينك على غض البصر.

٩ - ملازمة ذكر الله:

اشغل لسانك دائمًا بذكر الله؛ فإن ذلك يعينك على غض البصر؛ لأن الانشغال بالذكر يجعل قلبك موصولاً بالله، ومن ثَم فإنك لن ترى النساء من حولك، فضلاً عن أن تُفتن بواحدة منهن.

١٠ - عدم الوقوف في الأماكن التى تمر منها النساء:

لأن ذلك فيه استشراف للفتنة... والأصل أن الإنسان لا يورد نفسه موارد الهلاك؛ لأن الميل الفطرى الغريزى بين الرجل والمرأة لا ينتهى أبدًا، ومن ثَم فإن الشيطان يزين لك الوقوف فى تلك الأماكن، ثم يأخذ بيديك إلى أن تقترب من أسباب الفتنة خطوة خطوة، ولذلك حذرنا الله (جل وعلا)، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ (النور: ٢١).

١١ - الانشغال بهَمِّ الدعوة:

فإن المسلم إذا كان صاحب همٍ وقضية تشغله، فإنه لا يفكر في أي شيء آخر.. وليس هناك قضية أعظم من أن ندعو الكون كله لعبادة الله (جل وعلا).

١٢ - أن تربط عينك بقطعة قماش لمدة طويلة، وتتخيل أن الله قد حرمك نعمة البصر... ثم تنزع تلك القطعة لتشعر بقدر تلك النعمة؛ فلا تستعملها إلا في طاعة الله.

١٣ - التوبة: وذلك بأن تتوب من إطلاق البصر للنساء... وتبدأ صفحة جديدة مع الله (جل وعلا) تعاهده فيها على غض البصر، وتصدق معه وليكن لسان حالك ومقالك:

يا رب أنت أمرتني ونهيتني
وأريتني طرق الضلالة والهدى
وعلمتَ أني لا أفرُّ من الذي
قدرت لي إن كان خيراً أو ردى
وسلكت بي ما شئت للشيء الذي
في الخلق ما أخفيته عنهم سدى
فاقبل بفضلك توبتي لك خالصًا
واغفر فإني قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذي يا سيدي
قد جاء معترفًا وعاش موحداً

١٤ - استحضار ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة: فمن بين النعيم الذى يكرمك الله به فى الجنة الحورُ العين.

* قال ﷺ - كما عند البخارى -: «.. ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها».

فماذا تساوى المرأة التى تنظر إليها بالنسبة لجمال الحور العين... فهل هناك عاقل يضيع على نفسه لذة الاستمتاع بالحور العين فى الجنة من أجل نظرة إلى امرأة من أهل الدنيا؟!!

ثم إن النفس لا تقف عند حدٍ معين.. فإذا رأى الإنسان امرأة جميلة فسوف يجد من هى أجمل منها... ومن ثَم الواجب عليك أن تصرف بصرك عن كل النساء؛ لأن النساء ليست غاية، وإنما غاية المؤمن أن يفوز برضوان الله وجنته.

معوقات غض البصر

١ - عدم مراقبة الله (جل وعلا):

فإن العبد إذا لم يشعر بأن الله يراقبه ويراه ويعلم سره ونجواه، فإنه يكون جريئًا على معصية الله. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

٢ - نسيان الآخرة:

فإن ذكر الآخرة والجنة والنار يجعل العبد يسعى إلى مرضاة

الله، ويُكثر من أعماله الصالحة ليفوز بالجنة، ويهرب من الذنوب والمعاصى خوفًا من النار . . . فإذا نسى العبد آخرته، فلا شيء يردعه عن الوقوع فى أية معصية صغيرةً كانت أو كبيرة.

٣ - أصدقاء السوء:

فإن الصاحب ساحب، يجر صاحبه إلى كل معصية، إن لم يجتمعا على طاعة الله (جل وعلا). . فكم من صاحب أوقع صاحبه فى حفرة من حفر النار بسبب تزيين المعاصى والبُعد الشديد عن الله (جل وعلا).

٤ - تبرج النساء:

فإن ذلك يثير الشهوات الكامنة فى نفوس الشباب، مما يجعله ينظر إليهن بشهوة إن لم يكن عنده أى وازعٍ دينى يردعه عن فعل ذلك.

* وهنا أهمس فى أذن كل أخت مسلمة وأقول لها: هل رضيتى بأن تكونى سلاحًا فى يد أعداء الله ليدمروا به شباب المسلمين؟!.

يا حفيدة أسماء وخديجة وعائشة عودى إلى حجابك وحيائك وقولى لهم: ستعلمون غدًا أنى أنا الحرة الأبية التى ستُخرج للكون رجالاً أمثال عمر وخالد بن الوليد والزبير بن العوام.

* وأُريد أن أهمس الهمسة الثانية فى أُذن كل ولى أمر.

أقول له: اعلم أن النبى ﷺ دعا لك أو دعا عليك. . . فلقد دعا لك إن امتثلت أمره. . ودعا عليك إن خالفته، فقال ﷺ - كما عند مسلم -: «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم

فاشقق عليه؛ ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به».

فأنت قد ولاك الله أمر بنات من بنات المسلمين، فإذا تركت بناتك بلا حجاب ليفتنَّ شباب المسلمين، فقد شققت على هؤلاء الشباب، وسوف تبوء بدعاء النبى عليك.

وإذا ألزمت بناتك بلبس الحجاب وحجبت فتنتهن عن شباب المسلمين فقد رفقت بهؤلاء الشباب وستفوز بدعاء النبى ﷺ لك.

بل إنى أخاف عليك أن تُحرم من دخول الجنة، فقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة ديوث». قالوا: ومن الديوث يا رسول الله؟ قال: «الذى يقر الخبث فى أهله»(١).

* وهل هناك أعظم من أن تترك ابنتك أو زوجتك أو أختك ترتع فى الشوارع كاشفة عن مفاتنها، وهى تعرض جسدها كسلعة رخيصة لتفتن شباب المسلمين.

* والله أنا لا أرضى لك بذلك أبدًا.. بل إننى أرجو الله (جل وعلا) أن يعينك على تربية بناتك على الحياء والحجاب والأخلاق الحميدة؛ لتفوز ببشرى النبى ﷺ لك، حيث قال - كما عند مسلم -: «من عال جاريتين حتى يُدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين».

* ألا تريد أن تكون مع النبى فى الجنة؟.

إذن فلا تضيع الأمانة... وألزم بناتك وأخواتك وزوجتك

---

(١) رواه عبد الرزاق بإسناد حسن.

بالحجاب، وعلمهن سيرة الصحابيات وأمهات المؤمنين ليقتدين بهن، فهن الأسوة والقدوة لنساء المسلمين.

٥ - الدش والتلفاز والإنترنت:

فإن تلك الأجهزة على الرغم من أنها تحتوى على بعض المنافع إلا أن الفساد الذى فيها أكبر بكثير... فلقد استطاع كثير من الشباب والفتيات أن يطلعوا على العورات، وأن يفقدوا كثيراً من الحياء.

وكان من جراء ذلك أن أُثيرت الشهوات الكامنة، مما جعل الشباب يبحثون عن الوسيلة التى يفرغون من خلالها تلك الشهوة فلم يجد أكثرهم إلا الزواج العرفى المحرم، والذى كان من جرائه اثنا عشر ألف طفل بلا أب شرعى يعيشون الآن فى الملاجئ ودور الإيواء.

والذى كان نتيجة لثلاثمائة ألف حالة من الزواج العرفى، وذلك حسب الإحصائيات الرسمية... فنسأل الله العفو والعافية.

٦ - الاختلاط بين الشباب والبنات في المدارس والكليات وأماكن العمل:

ومن أشد الوسائل ضرراً وشراً: اختلاط النساء بالرجال، فإن هذا الاختلاط أنكى وسيلة فى الانغماس فى الفواحش والقاذورات، وقد كثُر فى هذا الزمان من يطالب بهذا الاختلاط

ويدعو إليه، حيث ينادون بمزاحمة النساء للرجال فى جميع المجالات والأعمال، زاعمين أنهم يريدون الخير والإصلاح لمجتمعاتهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٢) [(١)].

قال ابن القيم متحدثًا عن مفاسد الاختلاط: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة... وهو من أسباب الموت العام والطواعين المهلكة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى (عليه السلام) وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون، فمات فى يوم واحد سبعون ألفًا، والقصة مشهورة فى كتب التفسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشى بينهم متبرجات متجملات»[(٢)].

٧ - هجر الذكر والقرآن:

فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. فإن لم تشغل نفسك بالقرآن والذكر ودروس العلم شغلتك بالدش والتلفاز والنظر إلى النساء.

---

(١) عبودية الشهوات/ د. عبد العزيز بن محمد (ص: ٢٢).

(٢) الطرق الحكمية (ص: ٢٥٩).

٨ - الفراغ القلبى والعاطفى:

فإن المسلم إذا عاش بلا هم ولا قضية تشغله، فإن قلبه يهيم فى أودية الدنيا، ويرتع فى أوحال المعاصى.

فاشغل قلبك بمحبة الله، ومحبة رسول الله ﷺ.. واجعل الجنة والنار نُصب عينيك، واجتهد قدر استطاعتك لتفوز برضوان الله وجنته.

وأخيرًا

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

تعالوا بنا لنتواعد من الآن على أن نفتح صفحة جديدة، ونتعاهد على غض البصر، عسى الله أن يرضى عنا، وأن يجمعنا فى الجنة إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

وعساه أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

محتويات الكتاب